في دائرة الفن

عندما ترى ما يشبه البانوراما للثورة بمختلف تفاصيلها وغضب ثوارها وإصرارهم لا تستطيع إلا أن تؤكد أن الخطوة التالية لابد أن تكون هى البحث عن المسار الصحيح للعرض.

المسار... وماذا بعد؟

كلمات: نادية عبدالحليم

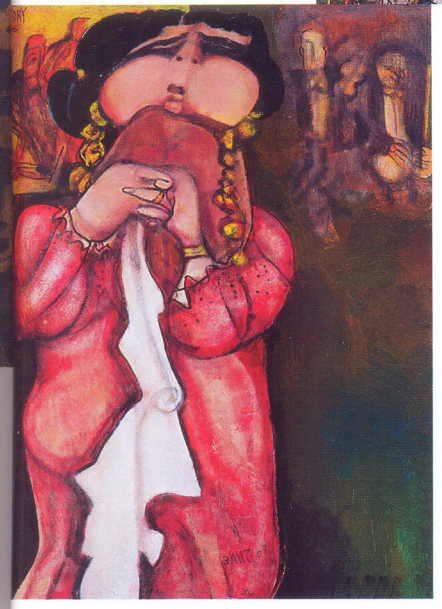

لكى تصبح أكثر قربا وقدرة على التفاعل مع ما ترويه لك لوحات الفنان جورج بهجورى فى معرضه الأخير عليك أن تتواصل أولا مع إبداعاته خلال السنوات السابقة خاصة معرضه الذى سبق الثورة بشهر واحد لتكتشف أنه قبل أن يكون راويا للثورة كان أيضا محرضا لها! بالتأكيد لم تكن مصادفة أن يختار للمعرض ـ الذى أقامه قبيل الثورة ـ «الخبز» موضوعا وعنوانا له، ولكنه إحساس الفنان بمجتمعه، وأتذكر أننى عندما سألته حينئذ فى حوار معه لمجلة البيت «ولماذا الخبز؟» أجابنى: لأن جزءا من رسالة الفنان أن يجسد وجع الناس ويدفعهم إلى مواجهته بقوة...

والآن يعود إلينا بهجورى بأعمال فنية جديدة نستعيد معها أحداث الثورة وأجواءها ولكن ليس بهدف «الفرجة» أو التوثيق فقط كما قد يتراءى لك فى البداية !، ولكنه بحسب تعبيره واختياره لعنوان المعرض لتحديد «المسار الحقيقى» للوطن، فبالتأكيد عندما ترى ما يشبه البانوراما للثورة بمختلف تفاصيلها وغضب ثوارها وإصرارهم لا تستطيع إلا أن تؤكد أن الخطوة التالية لابد أن تكون هى البحث عن المسار الصحيح للوطن والذى يراه بهجورى فى الانفتاح على العالم لا فى الانغلاق والتراجع إلى الوراء يقول «ذات يوم سيطر علىّ الإحساس بنجاح الثورة، وجدت نفسى أترك الثوار وأتجه من ميدان التحرير إلى ميدان الأوبرا لأتأمل من جديد حصان إبراهيم باشا وهو يشير إلى البحر المتوسط، وقلت لنفسى هذا هو المسار الحقيقى لثورة ٢٥ يناير.

هذا المسار الذى يستمد اتجاهه وحماسه من قلب الثورة يدفعك بهجورى إلى أن تتبناه أو ربما تتخذ اتجاها آخر مغايرا له اذا أردت، بشرط ألا يكون أقل منه تنويرا وقدرة على النهوض بمصر!، فعندما تتأمل ازدحام الشخوص فى جداريته «معركة الجمل» يترسخ داخلك الإحساس بأن هذا الكرباج الذى أمسك به راكبو الجمال لم يكن موجها فقط للمتظاهرين بالميدان إنما فى واقع الأمر كان يمثل إهانة بالغة لكل المصريين، وأن هذا الحصان المقلوب رفض أن يشاركهم هذا الاعتداء المخزى حين سقط على الارض براكبه غير النبيل وهل يركب الحصان إلا الفرسان النبلاء؟!، وبجواره الجمل يواسيه تارة ويتبرأ من المعركة التى حملت اسمه دون إرادته تارة أخرى، «جانب مهم من مسارك إذن الا تقبل على وطنك بعد اليوم ذلا أو مهانة» هكذا يعبر بهجورى عن تصوره لمصر ما بعد الثورة، وتحتل المرأة مكانة تليق بها فى أعمال بهجورى لدورها المؤثر فى الثورة «عليها ألا تفرط فى حقوقها منذ الآن»، يستوقفك مشاركة النسر وتفاعله مع الأحداث حين يخرج من العلم ويطير فى اتجاه الثوار بعد سنوات طويلة كان شاهدا رافضا لكل ما يحدث حوله، حتى أم كلثوم التى لا يكاد يخلو معرض لبهجورى دون أن تطربنا بأحلى أغانيها من خلال لوحاته استدعاها هى أيضا من زمنها الجميل لكنها تشدو هذه المرة بأغان تلهب عواطفنا وتحمسنا للثورة والتغيير ولذلك جاء وجهها من شدة انفعالها شديد الاحمرار ويداها فى لوحة أخرى تبتهل إلى الله ليخرج الوطن من محنته.

تبرز الحركة فى لوحات هذا المعرض الذى ضمه جاليرى المسار لترصد تحرك الثوار وتذكرك فى كثير من جوانبها بلوحة المعركة لدافنشى، اعتمد فى بعضها على الأسلوب التكعيبى ليبرز الثقل، واستوحى من القرص الذى استخدمته مصر القديمة فى كثير من الأغراض عددا من أفكاره الفنية، كما استخدم بالتة ألوان نارية تتوافق مع الحدث، ونجح فى توظيف المزج بين الكولاج وتقنيات التصوير لإبراز عمق وحيوية المعانى التى تتضمنها لوحاته.